وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذى آثر غرور الدنيا على نعيم
الآخرة فليس من ذوى الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا
ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما
وان ما وراء ذلك تفسير بالرأى وان من فسر القران برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا
ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع ان ذلك لا يناقض قول
على رضى الله عنه الا ان يؤتى الله العبد فهما فى القران وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول
لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب فى القران فان
سمع امرا او نهيا قدر انه هو المنهى والمأمور وان سمع وعدا ووعيدا فكمثل فان سمع قصص الانبياء و
الانبياء عليهم السلام علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به ويأخذ من تضاعيفه
ما يحتاج اليه فما من قصة فى القران الا وسياقها لفائدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم
وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله تعالى مثبت فؤاده بما يقصه
عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى خاصة وكيف
لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ونور
ورحمة للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال وانزلنا اليك الذكر لتبين
للناس ما نزل اليهم وقال كذلك يضرب الله للناس امثالهم وقال واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقال
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارى مقصود فما له ولسائر الناس
فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب
القرظى من بلغه القران فكانما كلمه الله تعالى واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل قراءته كما
يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء
هذا القران رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات
وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران فى قلوبكم
يا اهل القران ان القران ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا
القران الا قام بزيادة او نقصان فان الله عز وجل قال هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب
كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت
الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القران فلا يرى ذكر المغفرة
والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ثم اتبعه
ذلك باربع شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفى خسر

الا الذين

وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال واذكروا نعمة الله عليكم صح

الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شروط وحيث اقتصر
ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران
من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما
اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يؤمن به الا كثر حزنه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت
راحته وقال وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد
استجلابا للحزن من قراءة القران وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند
الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة
يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر
فى باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار
ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ على قال افتتحت
سورة النساء فلما بلغت الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
رايت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت
قلبه بالكلية ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات
بسماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال انى اخاف ان
عصيت ربى عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا
ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرأ ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن حاله الصبر
او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه
الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله الا لعنة الله
على الظالمين وفى قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفى قوله وهم فى غفلة معرضون
وفى قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وفى قوله ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا فى معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الا امانى يعنى التلاوة المجردة وفى قوله وكاين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون لان القران هو المبين لتلك الآيات فى السموات والارض ومهما تجاوزها
ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرأ
القران ناداه الله ما لك ولكلامى وانت معرض عنى دع عنك كلامى ان لم تتب الى ومثال
العاصى اذا قرأ القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة
مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة
لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط انى لاهم بقراءة
القران فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن
العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1